شرح

الأصول الثلاثة

١٤٢٧هـ

لفضيلة الشيخ / حمد بن عبدالله الحمد حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأصول الثلاثة

قال شيخ الإسلام المجدد رحمه الله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل) :

فبين أيدينا رسالة جامعة نافعة للشيخ الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وهذه الرسالة قد ألفت للعامة ليحفظوها وليفهموا ما فيها فإنها من العلم العيني الذي يجب على كل مسلم ومسلمة .

ولقد اعتنى أهل نجد بهذه الرسالة النافعة فكانوا يحفظونها عامتهم وخاصتهم حتى أنك لتجد بعض كبار السن ما زال يحفظ ما تلقنه من ألفاظ وجمل في هذه الرسالة النافعة للشيخ رحمه الله .

وهذه الرسالة قد جمعت مبادئ الإسلام ، أي إذا أراد المسلم أن يعرف بالإسلام الذي يدين به فإن هذه الرسالة فيها مبادئ الإسلام ، وفيها تعريف بهذا الدين الحنيف الذي بعث به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

وقد بدأ الشيخ رحمه الله تعالى بالدعاء لطالب العلم بالرحمة وهذا من التلطف في تعليم العلم ، فإن العلماء قد جمعوا مع العلم الرحمة للخلق ، فعندهم علم ورحمة فهو بهذا يدعوا للقارئ أن يرحمه الله ﷻ وهذا كما أن أهل العلم يبدؤن في الإجازة في الحديث بالحديث المسلسل بالأولية وهو حديث : (**الراحمون يرحمهم الله**) كل راوٍ يقول وهو أول حديث سمعته منه ، فتجد أن أهل العلم في باب الإجازة في السنة يبدؤن بهذا الحديث :(**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**) وهذا الحديث هو المعروف بالمسلسل بالأولية ، أي كل راوٍ يقول وهو أول حديث سمعته منه ، فالحاصل أن الشيخ رحمه الله بدأ بالدعاء من باب التلطف والعناية بطالب العلم .

قال : إنه يجب علينا تعلم أربع مسائل : العلم علم عيني واجب ومنه علم كفائي مستحب إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين فهو كفائي ، ما هو العلم العيني ؟

هو ما تصون به اعتقادك وعباداتك ومعاملاتك من الخطأ لئلا تقع في الخطأ تتعلم هذا العلم الذي تصون به عقيدتك وعباداتك وتصون به معاملاتك من بيع وشراء ، تصونها من الخطأ فهذا هو العلم العيني الواجب

على كل مسلم كما قال ﷺ فيما رواه ابن ماجه : (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**) وهو حديث حسن لغيره .

وفي الصحيحين : (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**) فهذه الرسالة من العلم العيني الذي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمه ولا يعذر بجهله وينبغي لطالب العلم كما تقدم أن يحرص على حفظها ليعلمها الناس وليعلمها خاصته وعامته .

قال رحمه الله : (الأولى العلم وهو : معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة) :

فالعلم معرفة الله ﷻ هذا هو الأصل الأول .

ومعرفة النبي ﷺ وهذا هو الأصل الثاني .

ومعرفة دين الإسلام وهذا هو الأصل الثالث .

معرفة ذلك بالأدلة ليجزم لئلا يكون عنده شك لابد وأن يعلم بالأدلة فيعلم أنه لا إله إلا الله ويعلم أن محمداً رسول الله يعلم ذلك بالأدلة من الشرع والأدلة من العقل ومن الفطرة ، فلابد من معرفة الحق بدليله فهذه الأصول لابد أن يعرفها المسلم وأن يجزم بها .

فيعرف أن الله ﷻ هو المستحق للعبادة يعرف ذلك بالأدلة منها عند قراءته للقرآن كقوله ﷻ : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ **وإلهكم إله واحد** ﴾ يعلم ذلك عند تدبره للآيات الكونية فيعلم أن الله هو الرب المستحق للعبادة ﷻ بفطرته أيضاً ، فإن العباد مفطورون على الحنيفية السمحة ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾ .

إذن لابد من معرفة ذلك بالأدلة والشيخ رحمه الله في هذه الرسالة يورد الأدلة على هذه الأصول الثلاثة .

قال : (الثانية : العمل به) :

لابد من العمل هذه المسألة الثانية أي لا يكفي العلم بلا عمل لابد وأن يعمل بما علم ، فالذي يعلم ولا يعمل هذه فيه شبه باليهود الأمة المغضوب عليها،والذي يعمل بلا علم فيه شبه من النصارى الأمة الضالة .

وكذا قال بعض السلف : من فسد من علماءنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى – نسأل الله العافية – .

قال : (الثالثة : الدعوة إليه) :

فإذا علمت وعملت فادعوا إلى الله ﷻ ، تدعوا عشيرتك وتعلم أولادك وجيرانك وطلابك إن كنت مدرساً ومن حولك من الناس سواء كانت الدعوة هكذا خاصة أو كانت دعوة عامة من خلال إلقاء

المحاضرات والكلمات فلابد من الدعوة إلى الله ﷻ : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ .

قال : (الرابعة : الصبر على الأذى فيه) :

إذا دعوت إلى الله ﷻ وعملت بهذا الشرع فإنه لابد من أذى يلحقك فاصبر كما قال ﷻ في قول لقمان : ﴿ **يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ فقد يلحقك أذى سواء كان الأذى بالكلام أو كان الأذى بشيء آخر يزيد على الكلام من ضرب أو غير ذلك لكن المؤمن يصبر والصبر على ثلاثة أنواع : صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على الأقدار المؤلمة .

١- فالنوع الأول : أن تصبر على الطاعة كما قال تعالى : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ فالعبد مأمور بأن يصبر على فعل ما أمر الله ﷻ به لأن النفس قد تدعوه للكسل والتفريط والتهاون بما أوجبه الله عليه لكنه يصبر

٢- النوع الثاني : صبر عن المعصية كذلك النفس قد تدعوه إلى المعاصي من الشهوات لكنه يصبر ويمنع نفسه وإنما الصبر كما قيل ساعة يحتاج أن يتجلد حتى يتعود على الصبر ويكون الصبر بعد ذلك سجية له فقد يتعب في أول الأمر يعاني عندما يمنع نفسه من شهواتها عندما يمنعها من مراداتها لكنه بعد ذلك يجد لذة ويجد طمأنينة ويجد سعادة إذا منع نفسه وتدبر حال الصائم فإنه يمنع نفسه عن الطعام والشراب فإذا أذن المغرب فرح فرحاً أعظم من فرح الذي يطعم ويشرب ولذا قال ﷺ : (**للصائم فرحتان يفرحهما يفرح عند فطره وفرحة عند لقاء ربه**) هكذا الذي يمنع نفسه عن المعاصي فإن له فرحتان فرحة عندما يغلب نفسه يجد أنه منع نفسه ، دخل السوق مثلاً ليقضي حاجة فمنع نفسه من النظر إلى النساء والتمتع بمحاسنهن فلما خرج من السوق وجد أنه غلب نفسه فحمد الله ووجد فرحاً وسروراً أعظم من سروره لو أنه أطلق بصره إلى المحرمات ، رجل سافر إلى الخارج لقضاء عمل فدعته نفسه إلى الشهوات فمنعها فلما ركب الطائرة أو وصل إلى بلده وجد فرحاً وسروراً لكونه غلب نفسه من كونه تدعوه إليه عن المعاصي ، وفرحة أيضاً عند لقاء ربه ﷻ عندما يجازيه الله ﷻ جزاء الصابرين ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

قال : (والدليل قوله ﷻ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾) :

يقسم الله ﷻ بهذه السورة التي هي من جوامع الكلام يقسم بالعصر أي الزمن والوقت الذي هو ظرف للأعمال سيئها وصالحها وهذا القسم من الله أذانٌ بأهمية الوقت وإعلام بفضله .

﴿ **إن الإنسان لفي خسر** ﴾ : أي إن جنس الإنسان لفي خسر أي إن كل إنسان لفي خسارة وخيبة .

﴿ **إلا الذين آمنوا** ﴾ : والإيمان كما هو معلوم : قول وقصد وعمل وعلى ذلك فلابد في الإيمان من علم فهذه هي مرتبة العلم .

﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ : هذه من باب عطف الخاص على العام لأن الأعمال الصالحات من الإيمان وهذه هي المرتبة الثانية وهي مرتبة العمل .

﴿ **وتواصوا بالحق** ﴾ : أي وصى بعضهم بعضاً بالحق وهذه هي المرتبة الثالثة وهي مرتبة الدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ **وتواصوا بالصبر** ﴾ : هذه هي المرتبة الرابعة وهي مرتبة الصبر على الأذى .

قال : (قال الشافعي رحمه الله تعالى : " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم ")

لتضمنها كما تقدم ما أوجبه الله ﷻ على عباده إجمالاً من العلم والعمل والدعوة والصبر على الأذى فتضمنت ما فيه نجاة العبد وما فيه سلامته من الخسارة على باب الإجمال لكن في الأدلة الأخرى تفاصيل ذلك .

قال : (قال البخاري رحمه الله تعالى : " باب العلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ") :

فالعلم قبل القول والعمل ولذا بوّب هذا الإمام الفقيه رحمه الله تعالى على هذه الآية ، فقال : باب العلم قبل القول والعمل : فالعلم قبل القول وقبل العمل فإن سبق القول أو العمل العلم فإنه يفسد الإنسان إذا كان يعمل من غير علم ولا بصيرة ففيه كما تقدم شبه من النصارى .

قال : (اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾) :

هذه أيضاً مسائل ثلاث يجب على المسلم أن يتعلمها .

أ – المسألة الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا و لم يتركنا هملاً ﷻ غير مكلفين بل أنه ﷻ أرسل الرسل وأنـــزل الكتب قال ﷻ : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فكل أمة من الأمم أرسل الله ﷻ إليها رسولاً يدعوها إلى توحيد الله ﷻ .

قال : (الثانية : أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾) :

فالله ﷻ يغار على التوحيد ويغضب أن يشرك معه غيره ولا يرضى بالشرك ولو كان ذلك لـــنبي مرســـل كمحمد ﷺ وعيسى عليه السلام أو كان هذا لولي صالح كعلي والحسين أو كان هذا أيضاً لملك مقرب كجبريل عليه السلام فالله ﷻ لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته ﷻ .

﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ : الدعاء نوعان :

١ – دعاء مسألة : وهو المعروف عندما يقول دعوت الله أي دعاء المسألة عندما يقول : " أسألك أن ترزقني ، أسألك أن تغفر لي ، أسألك أن ترحمني " هذا دعاء مسألة .

٢ – دعاء عبادة : وهو أن ينصرف إليه ﷻ ما رضيه الله ﷻ من العبادات من صلاة وصوم وصدقة وحـــج وغير ذلك هذا يسمى دعاء عبادة وذلك لأن لسان حاله الدعاء هذا الذي يصلي يسجد لله ﷻ بأنه يقول أنا يا رب إنما سجدت لك لتغفر لي يا رب أنا إنما أصلي لك لترضى عني ، عندما يخرج زكاة ماله كأنه قال يا رب أنا إنما أخرجت زكاة مالي لترضى عني ولذا هذا يسمى بدعاء العبادة .

إذن : صورته صورة العبادة لكن معناه معنى الدعاء لأن لسان حاله الدعاء لكن الذي يقول يا رب اغفر لي هذا لسان مقاله الدعاء ، والذي يسجد ويصلي هذا لسان حاله الدعاء ولذا فإن الدعاء نوعان دعاء عبادة ومسألة والدعاء هو العبادة كما قال ﷺ : (**الدعاء هو العبادة**) وقال ﷻ : ﴿ **وقـــال ربكـــم ادعـــوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي** ﴾ فسمى ﷻ الدعاء عبادة .

قال:(الثالثة : أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقـــرب قريب،والدليل قوله ﷻ:﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله هم المفلحون ﴾) :

هذه المسألة الثالثة : وهي أصل من أصول الدين وهي مسألة الولاء والبراء ، أن توالي المؤمنين وأن تعـــادي المشركين هذه المسألة من أصول الدين وهي داخلة في معنى لا إله إلا الله .

فإن الإسلام يدخل فيه وفي معنى لا إله إلا الله البراءة من الشرك وأهله ، وهذه المسألة قد تشكل كثير من المشتغلين بالعلم بحيث لا يميز بين ما يكون من الموالاة كفر يخرج من الملة وما يكون من الموالاة كبيرة من كبائر الذنوب وضابط ما يخرج من الملة وهو التولي ضابطه : أن يحب الشرك أو الكفر وأهله كالذي يقول إن هؤلاء النصارى يعبدون الله يصلون ويتصدقون وأهل دين سماوي فيقول أنا أحبهم لأنهم يعبدون الله فهذا من التولي الذي يخرج صاحبه من الإسلام أيضاً إذا ظاهر المشركين على المسلمين أي حارب مع المشركين ضد المسلمين لا لمصلحة دنيوية ترجع إليه وإنما لتكون كلمة الكفر هي العليا ، هذا من التولي الذي يخرجه من الإسلام .

إذن : إذا أحب الشرك وأهله لدينهم لكونه يعتقد أنهم أهل دين يرضاه الله ﷻ .

أو كان أيضاً يصف مع المشركين يحارب المسلمين لما ؟

لتكون كلمتهم هي العليا ، بعض الناس مثلاً يقول : نحن نقاتل من أجل تظهر هذه الديمقراطيات والحريات وهذه الأديان التي تخالف ما جاء به النبي ﷺ هذا كفر ، لكن الذي يصف معهم ويقاتل معهم أو يدعوهم إلى القتال معه لا لتكون كلمتهم هي العليا ولكن لمصلحة هو ينالها أي يريد أن يظهر على دولة أخرى كما كان يقع في أزمنة كثيرة في العهود الإسلامية في دولة المماليك وغيرها من استعانة بعض الدول المسلمة بدول كافرة لتقف معها على محاربة دول أخرى إسلامية ماذا يريدون ، هل يريدون أن تكون كلمة الصليب هي العليا ؟

لا ، لكن يريدون أن ينتصروا هم وأن تكون دولتهم هم هي الدولة العليا على الدولة الأخرى هذا أليس بكفر ، الكفر أن يقاتل معهم من أجل أن يظهر دينهم ومن أجل أن تطبق قوانينهم كما وقع – نسأل الله العافية – في بعض الأزمان الذين كانوا يرغبون في قوانين الإنجليز وغيرهم فكانوا يريدون أن يظهروها على البلاد الإسلامية لنكون هذه الأديان وهذه القوانين هي الظاهرة .

وأما الذين يحصل بينهم وبين دولة أخرى حرب كما يحصل بين الدول الإسلامية في أزمنة كثيرة فتستعين هذه بدولة أخرى كافرة هذا ليس من الكفر ولذا أخبر النبي ﷺ أن هذا يحصل في آخر الزمان وأنه يكون هناك حرب بين الروم والمسلمين وبين عدوٍ من ورائهم حتى أن أحدهم يرفع الصليب ويقول : غلب الصليب ثم يأتي مسلم ويكسر الصليب كما جاء هذا في مسند الإمام أحمد وغيره .

إذن : هذا هو الذي يسمى بالتولي لأن الموالاة هي المحبة القلبية والنصرة .

إذن : هذا رجل يحب الكفار يحب أديانهم يحب معتقداتهم هذا كفر أكبر ، لكن رجل يحبهم لمصالح دنيوية ينالها منهم ومصالح بينه وبينهم دنيوية وصداقات ونحو ذلك هذا ليس من الكفر الأكبر .

رجل وقف مع هذه الدول من أجل أن تكون كلمة الكفار هي العليا على أهل الإسلام رضاً بقوانينهم ورضاً بأديانهم فهذا كفر .

لكن رجل استعان بدولة أخرى لا لتكون كلمتهم هي العليا ولكن حفاظاً على دينه أو حفاظاً على حاله أو حفاظاً على أرضه فإن هذا ليس من التولي وليس من الكفر الأكبر ، ومتى يكون كبيرة ؟

له أنواع مثلاً بعضهم قد يريد أن تكون له عليهم يد فيطلعهم مثلاً على شيء من الأسرار في الأمة مثلاً مثل ما حصل من حاطب بن بلتعة ﷺ لما أراد أن يكون له يد على كفار قريش فأرسل إليهم أن النبي ﷺ يريد قتالهم فهذا من الكبائر و لم يكفر ولذا قال ﷺ : (**ما يدريك لعل الله أطلّع على أهل بدر فقال : افعلوا ما شئتم**) .

بعض الناس أيضاً يتخذهم بطانة جلساء ويستشيرهم وينبسط معهم هذا أيضاً داخل في هذا الباب الذي يتخذهم بطانة ونحو ذلك هذا كله من الكبائر وهي متفاوتة بعضها فوق بعض هذه تسمى بالموالاة ، والكفر يسمى بالتولي، قال ﷻ

﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ وضابطه كما تقدم المحبة لدينهم ولما هم عليه أو الوقوف معهم لتكون كلمتهم ولتكون أديانهم ولتكون معتقداتهم هي العليا ، وهذا كما تعلمون لا يصدر إلا من منافق ، والله أعلم .

قال : (**اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال ﷻ** : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ **ومعنى يعبدون : يوحدون**) : ذكر الشيخ رحمه الله في هذه الجملة أن الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام الذي أمر نبينا ﷺ باتباع ملته،فقال ﷻ :﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً** ﴾ والحنيف هو : المقبل إلى الله وحده ، المعرض عما سواه .

مقبل على الله متوكلاً عليه محباً له خائفاً منه متعلقاً به ويعرض عما سواه ، فاقباله على الله وحده لا يتعلق مثله بغيره ﷻ هذا هو الحنيف فهو مائل عن الشرك مستقيم على التوحيد .

إذن:الحنيف هو المقبل على الله وحده ، المعرض عما سواه ،أو هو المائل عن الشرك المستقيم على التوحيد .

هذا هو دين إبراهيم عليه السلام الذي أمر نبينا محمد ﷺ باتباع ملته قال ﷻ **﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾** قال ﷻ : **﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ﴾** هذا هو معنى لا إله إلا الله .

﴿ إنني براء مما تعبدون ﴾ : بمعنى : " لا إله " .

﴿ إلا الذي فطرني ﴾ : بمعنى " إلا الله " .

فيتبرأ من الطاغوت الذي يعبد من دون الله ﷻ ، يتبرأ من كل معبود سواه ﷻ .

فإذن : هي بمعنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، إلى أن قال ﷻ : **﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ ﴿ جعلها ﴾** : أي هذه الكلمة التي هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله باقية في عقب أبينا إبراهيم عليه السلام .

﴿ لعلهم يرجعون ﴾ : أي لعل عقبه يرجعون إلى هذه الكلمة ولا يخالفونها .

وهذه الأديان الثلاث دين الإسلام ودين اليهود ودين النصرانية ، الإسلام الذي هو دين الحق هو الذي بعث به محمد ﷺ وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام ، والنصرانية وهي الآن محرفة غير مقبولة منسوخة لكنها في الأصل قد بعث بها عيسى عليه السلام وهو من عقب إبراهيم عليه السلام فإنه ابن مريم وهي من عقب إبراهيم .

وكذلك موسى عليه السلام فإنه من عقب إبراهيم أبو الأنبياء عليهم السلام .

إذن : دينه وهو إمام الحنفاء عبادة الله وحده لا شريك له وقد خلق الله العباد لعبادته ، خلق الثقلين الجن والإنس لعبادته قال ﷻ : **﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** أي : إلا ليوحدون فما خلق الله ﷻ الثقلين الجن والإنس إلا لعبادته ﷻ .

قال : (وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة ، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه ، والدليل ﷻ : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾) :

فأعظم المحرمات وأقبحها وأفحشها أن تجعل لله نداً وهو خلقك هذا هو أعظم الذنب ، فالشرك أعظم ما نهى الله عنه والتوحيد هو أعظم الواجبات وأول واجب يؤمر به المكلف وهو الذي به بعثت الرسل عليهم السلام وله أنزلت الكتب ، وخلقت الجنة والنار ، فهو أول واجب على العباد وهو الذي من أجله خلق العباد ، قال ﷻ : **﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾** .

قال : (فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ) :

هذه الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم أن يتعلمها وأن يعرف دليلها أن يسمع الدليل ليكون عارفاً عالماً بها لابد من ذلك هذه هي الأصول الثلاثة .

١- الأصل الأول : معرفة الرب ﷻ .

٢- الأصل الثاني : معرفة النبي ﷺ .

٣- الأصل الثالث : معرفة الإسلام .

كل ذلك بالأدلة .

قال : (فإذا قيل لك : من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته وهو معبودي ليس لي معبود سواه ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم) :

هذا هو الأصل الأول : معرفة الرب ﷻ .

فإذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين ، بمعنى أنه رباني ﷻ بنعمته في مختلف الأطوار وأنت جنين في بطن أمك وأنت وليد وغلام وشاب وشيخ وكهل إلى غير ذلك من أطوارك ، فالله ﷻ هو الذي يربيك فيغذيك بالنعم ﷻ وينعم عليك بما شاء من النعم الحسية والنعم المعنوية لأن التربية تعني أن يتدرج في الإنسان في مختلف أطواره للوصول به إلى الكمال الإنساني هذا في أصل التربية ، فالله ﷻ يربي عباده بنعمه ﷻ يغذوهم بنعمه يعلمهم ﷻ ، أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً ، هذه الاختراعات الكثيرة المتنوعة كلها داخلة في تربيته ﷻ لعباده فهو ﷻ يربي عباده في مختلف الأطوار بنعمه ﷻ الحسية والمعنوية .

والرب هنا بمعنى المعبود ولذا قال المؤلف هنا رحمه الله تعالى : " وهو معبودي ليس لي معبود سواه " ، وذلك أن الرب له اطلاقان في الشرع : الإطلاق الأول بمعنى الخالق المالك المدبر المتصرف في شؤون العباد هذا هو الرب وهذا هو معنى توحيد الربوبية بأن يفرد الله ﷻ بأفعاله من خلق ورزق وإحياء وإماتة وتصرف وتدبر هذا هو المعنى الأول للرب .

الإطلاق الثاني : أن يكون الرب بمعنى المعبود ، وذلك لأن الربوبية تستلزم الألوهية وتدل على الألوهية وتستلزمها فالرب الخالق الرازق المالك المحيي المميت هو المستحق للعبادة دون ما سواه .

إذن : الرب ويطلق ويراد به الخالق الرازق المالك المدبر للشؤون ويطلق ويراد به المعبود ومنه قوله ﷻ :

﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً** ﴾ هل كانوا يعتقدون أن الأحبار والرهبان قد خلقوهم ؟

لا ، لم يكونوا يعتقدون أن الأحبار والرهبان قد خلقوهم ولا أنهم هم المالكون لهم ولا أنهم المدبرون لشؤونهم والمتصرفون بأحوالهم لم يكونوا يعتقدون هذا ، إنما كانوا يعبدونهم ولذا لما سمعها هذه الآية عدي بن حاتم ﷺ قال " أنا لم نعبدهم يا رسول الله ، فقال الرسول ﷺ : (**ألم يكونوا يحلون لكم الحرام فتحلونه ، ويحرمون عليكم الحلال فتحرمونه**) قال : بلى ، قال : (**فتلك عبادتهم**) من هنا يعلم أن الرب يطلق في لسان الشرع ويراد به أيضاً الإله المعبود .

﴿ **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً** ﴾ أي : آلهة معبودة من دون الله ﷻ .

إذن : الرب في الشرع يطلق ويراد به الخالق الرازق وغير ذلك من معاني الربوبية وهذا لم يكن فيه خلاف بين الأنبياء وبين أقوامهم فإن أقوام الأنبياء كانوا مقرين بهذا النوع غير منكرين له ، ولذا قال ﷻ : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ فكانوا يؤمنون كما تقدم في درس سابق أن الله ﷻ هو الرب الخالق لكنهم كانوا يعبدون معه غيره ولذا قالوا: ﴿ **أجعل الآلهة إله واحداً إن هذا لشيء عجاب**﴾ .

قال : (**فإذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما ، والدليل قوله** ﷻ : ﴿ **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ **وقوله** ﷻ : ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾) :

فإذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ فقل : بآياته ومخلوقاته .

ما الفرق بين الآيات والمخلوقات ؟

الجواب : أن الآيات أخص من المخلوقات ، وعلى ذلك فالمخلوقات أعم ليس كل مخلوق آية لكن كل آية فهو مخلوق ، والمراد بالآيات هنا : الآيات المخلوقة لا الآيات المترلة التي هي كلام الله ﷻ .

ومعنى ذلك أن الآيات هي الدلائل البينات الواضحات على أن الله ﷻ هو الرب المعبود ، هذه تسمى آية .

وأما المخلوق فهو الذي خلقه الله ﷻ فهو من هذه الجهة كالآية ، الآية مخلوقة وهذا مخلوق لكن الآية فيها دلالة واضحة بينة وعلامة شاهدة على أن الله ﷻ هو الرب وأنه هو المعبود ﷻ .

وهذا في الغالب يكون نسبياً أي بالنسبة إلى بعض الخلق أوضح هذا بالمثال .

المؤلف هنا رحمه الله تعالى ذكر من المخلوقات السماء والأرض ، والسماء والأرض من المخلوقات وهي في الحقيقة من الدلائل الواضحات البينات على أن الله هو الرب المعبود ﷻ لكن المكلفين يصبحون ويمسون والأرض أسفل منهم والسماء فوقهم فلا يحسون بهاتين الآيتين العظيمتين بخلاف الشمس والقمر فإن الشمس تغيب والقمر يغيب فيظهر لهم من دلالته على خلق الله للمخلوقات ودلالته على ربوبية الله وأولوهيته ما لا يظهر لهم في الشمس ولا في القمر ولذا فإن الشيخ رحمه الله قال : ومن مخلوقاته السماء والأرض ، ومن آياته الشمس والقمر لأن البشر لا يستشعرون أن الأرض والسماء آيتان كما يستشعرون أن القمر والشمس آيتان ، والناس بسبب كثرة مساسهم بالأرض والسماء لا يشعرون بأن الأرض والسماء آيتان كما يشعرون أن الشمس والقمر آيتان ولذا الشيخ هنا قال : ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر من الآيات ومن مخلوقاته السموات السبع وما بينهما .

إذن : هذا واضح وإلا فكل مخلوق يدل دلالة بينة على أن الله ﷻ هو الرب المعبود ، لكن كما ذكرت لكم الخلق نسبياً قد يظهر لهم في بعض المخلوقات من الدلالة ما لا يظهر لغيرهم .

فالإبل مثلاً عندنا قد لا نتبصر فيها ولا نعتبر فيها ولا يكون لها في نفوسنا من الأثر كما يكون لأهلها من أهل البادية ولذا قال ﷻ : **﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾** بعض الناس ربما يرى الإبل ولا يقع في قلبه هذا الشعور الذي يجده هذا البدوي صاحب الإبل وهكذا أيضاً في مخلوقات أخرى تجد أيضاً في النفس الإنسانية من العجائب ما يدركه الأطباء ونحن قد لا ندركه ولا نستشعره كما يستشعره هؤلاء .

قال : (والرب هو المعبود والدليل قوله ﷻ : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة ") :

فالخالق لهذه الأشياء الذي خلقكم وجعل لكم الأرض فراشاً وجعل لكم السماء بناءً وأنزل لكم من السماء ماءً وأنبت لكم به من الثمرات ما ترزقون به فهو المستحق للعبادة وحده ﷻ دون ما سواه .

إذن : هذه الأدلة وهذه الآيات البينات الواضحات في أنفسنا وفي السماء وفي الأرض وفي غير ذلك من خلقه ﷻ ما يدل على أنه هو الرب المستحق للعبادة وحده لا شريك له فهو الرب المستحق للعبادة وحده ﷻ ، والله أعلم .

قال : (وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها " كلها لله " والدليل قوله ﷻ : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾) :

العبادة هي : اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه ، ويثبت عليه ويجازى عليه من الأقوال الظاهرة والباطنة والأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة ، فالأقوال الظاهرة هي أقوال اللسان كذكر الله وتلاوة القرآن والدعاء هذه أقوال اللسان .

وأقوال القلب هي : اعتقاده كإقراره بربوبية الله وأولوهيته وما يستحقه ﷻ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإيمانه بالجنة وإيمانه بالنار هذا كله قول القلب .

وأما عمل القلب كالتوكل والاستعانة والرغبة والرهبة ونحو ذلك من أعمال القلوب وحركاته .

وأما أعمال الجوارح فكالصلاة والذبح ونحو ذلك من أعمال الجوارح .

فإذن : الأقوال سواء كانت أو من عدوٍ يلحقه ونحو ذلك فهذا خوف طبيعي كما قال الله ﷻ عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام : **﴿ فخرج منها خائفاً يترقب ﴾** وعلى ذلك فالخوف الشركي الذي يخرج صاحبه من الإسلام هو خوف السر وهو خوف القلوب أن يخاف مثلاً من صاحب هذا الضريح أن يلحق به الضر أو أن يمنع عنه النفع لاعتقاده أن هذا ينفع أو يضر إما إستغلالاً أو كرامة من الله ﷻ ولذا تجد بعض أصحاب الأضرحة يخوفون الناس من أربابها إذا تنقصوهم بكلمة أو بفعل فيقولون يتسلط عليك هذا الولي ويفعل بك كذا وكذا أو يخوفون من يأتي لهدمها وإزالتها بمثل ذلك فهذا خوف القلوب الذي يخرج صاحبه من الإسلام .

قال : (ودليل الرجاء قوله ﷻ : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾) :

فالرجاء الذي هو الطمع بما عند الله ﷻ هذا لا يصرف إلا إليه ﷻ فلو طمع أحد بولي أن يدخله الجنة أو أن يشفيه من مرض ونحو ذلك مما لا يرجى إلا من الله ﷻ فهذا من الشرك الأكبر .

قال : (ودليل التوكل قوله ﷻ : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله ﷻ : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ ودليل الخشية قوله ﷻ : ﴿ فلا تخشوهم واخشون ﴾ ودليل الإنابة قوله ﷻ : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ ودليل الاستعانة قوله ﷻ : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وفي الحديث : " إذا استعنت فاستعن بالله " ، ودليل الاستعاذة قوله ﷻ ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس ﴾ ودليل الاستغاثة قوله ﷻ : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾) :

فالاستعانة هي : طلب العون .

والاستعاذة هي : اللجوء والاعتصام بالله ﷻ ، استعاذ بالله أي اعتصم به والتجأ إليه .

وكذلك كما تقدم في الدعاء تقول في الاستعانة وفي الاستعاذة .

فالاستعانة بالمخلوق قد تكون من الشرك الأكبر ، وقد تكون من النوع الجائز ، كذلك أيضاً الاستعاذة .

كذلك أيضاً الاستعانة بالمخلوق وهي طلب الغوث فهذه قد تكون من الشرك الأكبر وقد تكون من النوع الجائز .

فالذي يستعين بالأموات أو يستغيث بهم أو يستعيذ بهم أو بالغائبين الذين لا يسمعون كلامه أو فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ فهذا من الشرك الأكبر ، وأما مثلاً لو استعاذ بالشرطة أو استغاث بالسلطان في أمرٍ يقدر عليه فإن هذا ليس من الشرك ، لكن لفظ التوكل ولفظ الاستعاذة لا تكون إلا لله فلا تقول يا فلان أعوذ بك ، ولا تقول يا فلان أتوكل عليك ، ولا تقول أعوذ بالله ثم بك ، ولا تقول أتوكل على الله ثم عليك ، لفظ التوكل ولفظ الاستعاذة لا يكون إلا لله ﷻ ، فتقول أتوكل على الله وحده ، استعيذ بالله وحده ، فلا تأتي بلفظ الاستعاذة ولا بلفظ التوكل إلا لله ﷻ .

قال : (ودليل الذبح قوله ﷻ : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ومن السنة : " لعن الله من ذبح لغير الله ") :

فالذبح لغير الله كالذبح للجن هذا من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الإسلام ، فالذي يتقرب للجن بالذبح أو يتقرب للأولياء بالذبح ، أو أن يسمي الولي أو الجني على ذبيحته فيقول : باسم فلان أو باسم الجني فإن هذا من الشرك الأكبر ، وأما إذا ذبحها لإكرام ضيف ونحو ذلك فلا ، هذا ليس من الشرك .

وأما إذا ذبحت في طريق سلطان مثلاً تذبح أو تنحر الإبل في طريقه فهذا من التقرب أي وهو يسير في الطريق تنحر الإبل أو تنحر البقر أو تذبح الشياه في طريقه هذا من باب التقرب وهو من الشرك بخلاف ما

لو ذبحت ولو كثرت له اكراماً له أي تقدم له ولمن معه ولمن حضر من الناس فإن هذا من الاكـــرام أو أن يذبحها للحم هذا كله جائز وتفاصيل ما ذكره المؤلف رحمه الله هنا مذكور كما تقدم في كتاب التوحيـــد لعلنا بعد الفراغ من هذه الرسائل المختصرة نشرح هذا الكتاب .

قال : (ودليل النذر قوله ﷻ : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾) :

إذا نذر لغير الله فقد أشرك ، لو قال نذر للشيخ فلان للسيد فلان للسيد البدوي أو للشيخ عبـــدالقادر إن شفي مريض أن أتصدق بكذا فهذا شرك أكبر لأن النذر عبادة فإذا صرفه لغير الله نذر للـــولي الفـــلاني أو للشيخ الفلاني فهذا من الشرك الأكبر .

قال : (الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعـــة والبراءة من الشرك وهذا ثلاث مراتب : الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان) :

فذكر الشيخ هنا أن الأصل الثاني معرفة دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ خاتمـــاً للأديـــان ولا يقبل الله ﷻ من العباد سواه قال ﷻ : **﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾** وقال : **﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾** ومن هنا يُعلم أن الأديان الأخرى منسوخة فالتعبد بها غير مقبول وهذا باجماع أهـــل العلم ، ومن اعتقد خلاف هذا أو صحح أديان اليهود أو النصارى فإنه قد أتى ناقضاً من نواقض الإسلام ، ومن صحح دين اليهود أو دين النصارى أو شك في صحة دينهم و لم يتعين أن دينهم باطل وأن الله لا يقبل هذا الدين فقد كفر بالله وخرج من الإسلام فالله لا يقبل من عباده إلا الإسلام ، وقد قـــال ﷺ كمـــا في صحيح مسلم : (**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت بـــه إلا أدخله الله النار**) .

قال : معرفة دين الإسلام بالأدلة : كما تقدم لابد من أن تكون هذه المعرفة بالأدلة فإن التقليد في مثل هذه المسائل لا يقبل ويكفي أن يسمعها العامي ولو مرة واحدة وإن لم يحفظها وإن لم يستحضرها فيكفـــي أن يسمع هذه الأدلة وأن يعلم أنه على علم ومعرفة مبنية على الأدلة قد أجاب المرسلين فإن الله ﷻ يسأله يوم القيامة يسأل الناس يوم القيامة ماذا أجبتم المرسلين فلابد وأن يكون قد عرف الإسلام بالأدلـــة ثم عرفـــه الشيخ رحمه الله بقوله : وهو الاستسلام لله : الاستسلام لله بالتوحيد يستسلم لله ﷻ بتوحيـــده بربوبيتـــه وألوهيته وأسمائه وصفاته يكون مستسلماً لله ﷻ فهو ينقاد لله ﷻ مستسلم لله ﷻ كما يستسلم الضعيف للقوي الذي وضع السلاح مثلاً على رأسه وقال اذهب هنا واذهب هنا يكون قد استسلم استسلاماً تامـــاً

فيستسلم العبد لربه ﷻ بالتوحيد والانقياد بالطاعة فينقاد ولا يمتنع فينقاد لله ﷻ بطاعته بإقامة الصلوات المكتوبة وأداء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وغير ذلك من فرائض الدين .

قال والخلوص من الشرك : وفي نسخة وهي الصواب : والبراءة من الشرك وأهله فلابد أيضاً مع استسلامه لله بالتوحيد وانقياده له بالطاعة أن يتبرأ من الشرك وأهله فإن البراءة من الشرك والمشركين أصلٌ من أصول هذا الدين ، قال ﷻ : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ فلابد أن يتبرأ المؤمن من المشركين ومن دينهم لا يصح إسلام العبد حتى يوحد الله وينقاد له بالطاعة ويتبرأ من المشركين ويتبرأ من أديانهم وعلى ذلك فالذي لا يتبرأ من أديان المشركين ولا يتبرأ منهم ويصحح أديانهم فإنه لا حظ له في الإسلام كما تقدم تقريره وذكرنا لكم في درس سابق أن التولي الذي يخرج العبد من الإسلام هو أن يحب المشركين لدينهم يقول : أنا أحب النصارى لأنهم أهل دين سماوي يحبهم لهذا يحب أديانهم يحب عباداتهم أو كذلك يظاهرهم على المشركين لتكون كلمة الكفر هي العليا فيقف صفاً معهم لتكون كلمتهم هي العليا وليكون لهم الظهور والعلو في الأرض فتقدم بيان هذا وإن هذا من الكفر الأكبر .

قال : وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان كما جاء هذا في حديث جبريل في الصحيحين فالإسلام ثلاث مراتب إذن : مرتبة الإسلام وأعلى منها مرتبة الإيمان وأعلى منها مرتبة الإحسان .

قال : (فأركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، فدليل الشهادة قوله ﷻ : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ومعناها لا معبود بحق إلا الله وحده) :

هذا هو معنى لا إله إلا الله : لا معبود بحق إلا الله .

لا إله : إله فِعال بمعنى مفعول أي لا معبود حق إلا الله ﷻ هذا هو معنى لا إله إلا الله .

فإذا قيل لك ما معنى لا إله إلا الله ؟

فقل : أي لا معبود حق إلا الله ، أي لا تصرف العبادات إلا له ﷻ .

وأما ما ذكره المتكلمون من الأشاعرة وغيرهم من أن معنى لا إله إلا الله أي لا قادر على الاختراع إلا الله فهذا باطل فالله هو القادر وحده على الاختراع والخلق والايجاد لكن ليس هذا هو معنى لا إله إلا الله ولذا فإن المشركين كانوا يقرون أن القادر على الاختراع هو الله ﷻ وحده و لم يكونوا يقولون لا إله إلا الله بل

كانوا يأبون أن يقولوا : لا إله إلا الله ؛ لأن معنى " لا إله إلا الله " أي لا تعبد إلا الله لا توجه العبـــادة إلا إليه ولذا قالوا : ﴿ **اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾ .

قال : (" ولا إله " : نافياً جميع ما يعبد من دون الله ، " إلا الله " : مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه) :

فجمعت بين النفي والإثبات ، فـــ" لا إله " : نفي ، " إلا الله " : إثبات .

لا إله : تنفي العبادة من غير الله ، وإلا الله : يحصرها به ﷻ ، وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ **فمن يكفـــر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ فمن يكفر بالطاغوت ، أي يقـــول : لا إلـــه ، ويؤمن بالله يقول إلا الله ، هذا هو معنى لا إله إلا الله ، الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ﷻ ، ولذا فإنه لابد كما تقدم من البراءة من الشرك وأهله .

إذن : هذا هو الكفر بالطاغوت فلو أن رجلاً قال : أنا لا أعيد هذه الأضرحة لا أذهب لأنذر ولا أذهـــب لأذبح للأموات ولا استغيث بهم من دون الله ولا أدعوهم لكن هذا ليس بكفر أنتم تتشددون هـــذا لـــيس بكفر هؤلاء على خرافة وعلى خطأ لكن بقوله هذا ليس بكفر ، فهل كفر بالطاغوت ؟

لا ، لم يكفر بالطاغوت حتى يعتقد أن هذه العبادة لغير الله وأن صرف هذه العبادات إلى هذه الأضـــرحة وإلى هؤلاء الأموات أنه شرك أكبر لابد وأن يعتقد هذا لا يكفر إلا بصرف هو شيء من العبادات لغير الله هذا لا يكفر لابد وأن يقر أن ما عليه هؤلاء شرك أكبر يخرج صاحبه من الإسلام .

قال : (وتفسيرها الذي يوضحها قوله ﷻ : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾) :

وتقدم شرح هذه الآية .

قال : (وقوله ﷻ : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾)

والأرباب هنا كما تقدم أي آلهة فدل هذا على أن صرف شيئاً من العبادة إلى الأنبياء والأولياء أنه شـــرك أكبر وأن من فعل ذلك فقد اتخذهم أرباباً من دون الله .

قال : (وشهادة أن محمداً رسول الله ، قوله ﷻ : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾)

﴿ من أنفسكم ﴾ أي : من جنسكم فهو من بني آدم ، وهو عربيٌ منكم يتكلم بلغتكم يا معشر العرب فهو من جنسكم ليس بملك لا تأنسون به وليس أيضاً بأعجمي لا تفهمون لغته .

وقرأت : من أنْفَسِكم أي : إنه من أشرفكم وأعلاكم قدراً وهو كذلك ﷺ فهو أشرف الخلق ﷺ .

وهذا أيضاً سبب في قبول دعوته فإن الناس يذعنون لأشرافهم ولكبرائهم ما لا يذعنون لمن هم دونهم .

﴿ عزيز عليه ما عنتم ﴾ : أي يشق عليه ما يلحقكم من حرج يثقل عليه ﷺ أن يلحقكم حرج في دينكم فهو ﷺ حريص على التخفيف والتيسير على هذه الأمة ﷺ ورفع الحرج عنها ومن هنا يعلم أنه ليس في تشريعاته ﷺ حرج ولا عسر .

قال : (ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع) :

هذا هو مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ، مقتضاها : أن تطيعه فيما أمرك وأن تجتنب ما نهاك عنه وأن تصدقه بما أخبرك به وألا تعبد الله ﷻ إلا بما شرعه فتطيعه فيما أمر كالتوحيد والصلاة ، وتجتنب ما نهى عنه وزجر كالشرك وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم وغير ذلك من المعاصي وتصدقه فيما أخبر فما أخبرك به فإنك تصدقه ﷺ وتعلم أنه هو الصادق المصدوق ، وأيضاً تعبد الله ﷻ بما شرعه فلا تتجاوز ذلك (**اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم**) فلا تتعبد الله ﷻ بما يستحسنه عقلك وهواك أو عقول غيرك وأهواءهم وإنما تعبد الله ﷻ بما شرعه الله ﷻ في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

قال : (ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله ﷻ : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ ودليل الصيام قوله ﷻ : ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ ودليل الحج قوله ﷻ : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾) :

فهذه هي أركان الإسلام ، والركن هو جانب الشيء الأقوى أي منه ليس شرطاً فيه ليس خارجاً عنه بل هو جزء منه فهذه هي أركان الإسلام .

ولا يكفر على الصحيح من قولي العلماء بترك شيء من هذه الأركان إلا الصلاة ، وقد ذهب بعض السلف إلى تكفير تارك الزكاة ، وذهب بعضهم إلى تكفير تارك الحج .

والصواب : أنه لا يكفر إلا بترك الصلاة وترك شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله أعلم .

قال : (المرتبة الثانية : الإيمان وهو : بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) :

شرع المؤلف رحمه الله تعالى بذكر الإيمان ، والإيمان هو : عقيدة بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح .

وعلى ذلك فله ثلاثة أركان :

١- الركن الأول : اعتقاد القلب فلابد من اعتقاد القلب من اقراره .

٢- الركن الثاني : قول اللسان فلابد من قول اللسان فيقول : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

٣- الركن الثالث : عمل الجوارح فلابد من عمل يصدق إيمانه الذي لا عمل له لا إيمان له ، وقد تقدم شرح هذا في الواسطية .

إذن الإيمان : عقيدة بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان .

وذكر الشيخ رحمه الله أن له شعباً فالإيمان له شعب كما أن الكفر له شعب وعلى ذلك فالمسلم قد يكون فيه شيء من شعب الكفر – أي الكفر الأصغر – ويكون فيه شعب من شعب الإيمان ، فيكون عنده حياء مثلاً والحياء من الإيمان ، يكون عنده صدق والصدق من الإيمان ، وقد يكون عنده طعن في الأنساب والطعن في الأنساب من شعب الكفر ، كذلك أيضاً قتل المسلم هذا من الكفر الأصغر (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) أي من الكفر الأصغر .

والمسلم بقدر ما يكون عنده من شعب الإيمان يوالى وبقدر ما يكون عنده من شعب الإيمان يعادى ، وعلى ذلك فيكون الإنسان يعادى من جهة أفعاله المخالفة للشرع ويوالى ويحب ويناصر من جهة أعماله التي يوافق فيها الشرع وكذا فإن المسلم أخو للمسلم لو كان المسلم من أهل البدع أو كان المسلم من أهل الفسوق ومن أهل الكبائر فإن له ولاية لأنه مسلم عنده أصل الإسلام ، والمسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يتسلمه فبقدر ما يكون عنده إيمان تكون محبته ونصرته وبقدر ما يكون عنده من فسوق وكبائر يكون بغضه .

إذن : عندنا شعب إيمان وعندنا شعب كفر .

قال : (وأركانه ستة : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، والدليل على هذه الأركان الستة قوله ﷻ : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ ودليل القدر قوله ﷻ : ﴿ إنا كل شيءٍ خلقناه بقدر ﴾) :

الإيمان له أركان ستة :

١- الركن الأول : الإيمان بالله ، ٢- الركن الثاني : الإيمان بالرسول ،

٣- الركن الثالث : الإيمان بالكتب ، ٤- الركن الرابع : الإيمان بالملائكة ،

٥- الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر ، ٦- الركن السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره .

وتقدم إيضاح هذا في شرح الواسطية .

قال : (المرتبة الثالثة : الإحسان ركن واحد وهو : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾) :

الإحسان هو المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان وهو أعلى مراتبه فأعلى مراتب الإيمان مرتبة الإحسان .

ومعنى هذه المرتبة : أن تراقب الله ﷻ أن تعلم أن الله ﷻ يراك وأن الله ﷻ يسمع قولك وأنه لا يخفى عليه شيء من أفعالك ﷻ فتحسن عملك .

إذن : ثمرة هذه المراقبة إحسان العمل ولذا تسمى مرتبة الإحسان لأنه يراقب الله يعلم أن الله ﷻ يعلم باطنه ويعلم ظاهره يعلم ما في قلبه من إخلاص أو رياء يعلم ما هو عليه من متابعة للسنة أو ابتداع فيحسن عمله ويعلم أنه ﷻ يراقبه يسمع قوله ويرى فعله لا يخفى عليه شيء من ذلك ﷻ .

قال : (وقوله ﷻ : ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرءان ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾) :

فهذه الآيات فيها أن الله ﷻ مطلع على أعمال عباده خيرها وشرها فيرى ﷻ إحسان المحسنين ويرى ﷻ إساءة المسيئين فيراقب المؤمن ربه ﷻ ويحسن عمله .

قال : (" والدليل من السنة " حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ فقال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " ، قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : أخبرني عن الإيمان ؟ قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

وبالقدر خيره وشره " ، قال : أخبرني عن الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، قال : أخبرني عن الساعة ؟ قال : " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " ، قال : أخبرني عن أماراتها ؟ قال : " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " ، قال : فمضى فلبثنا ملياً ، فقال : " يا عمر أتدرون من السائل " ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ") :

الفرق بين الإيمان والإسلام أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا .

إذا اجتمعا افترقا : فإذا قلت أن هذا مسلم وليس بمؤمن فلأن اجتمعا فافترقا اجتمعا في لفظ فافترقا ، فالإيمان يكون كما في القلوب ، وأما الإسلام فلما في الألسنة والجوارح ولذا فإن أركان الإسلام الخمسة الشهادتان في اللسان وبقية الأعمال في الجوارح ، وأما أركان الإيمان الستة فإنها في القلوب .

وأما إذا افترقا اجتمعا : فإذا قيل الإيمان فنقول الإيمان يدخل فيه الإسلام وإذا قلنا في الإيمان أنه عقيدة في الجنان وقول في اللسان وعمل في الأركان .

وإذا قيل الإسلام دخل فيه الإيمان ولذا في هذا الحديث اجتمعا لأنه سأله عن الإسلام ثم سأله عن الإيمان فاجتمعا فكان الإيمان لما في القلوب ، وأما الإسلام فلما في الألسنة والجوارح .

قال : " أن تلد الأمة ربتها " : من أهل العلم من فسره بقوله : أن هذا في زمن تكثر فيه الإماء حتى أن الأمة تخدم ابنتها لأن السيد ينكح الأمة وتلد له ويكون هذا الولد حراً فقد ينتقل الملك من هذا إلى هذا فيستخدم هذا الرجل ولا يدري أنها أُمه يظنها أَمه وإنما هي أُمه لكثرة الإماء .

ومن أهل العلم من قال : أن هذا دالٌ على كثرة العقوق أو ظهور العقوق وأن الأُم تخدم ابنتها وأن تلد الأمة ربتها أي تلد الأم سيدتها التي تأمرها وتنهاها وهي ابنتها فيكون الأمر والنهي للبنت وذلك لفساد المجتمع ، هذا يحتمل وهذا يحتمل وإن المعنى الأول أقرب من المعنى الثاني .

قال : " أتاكم يعلمكم أمر دينكم " : فيه أن الدين تدخل فيه المراتب الثلاث ، لأنه قال : أتاكم يعلمكم أمر دينكم وقد علمهم الإسلام والإيمان والإحسان ، فدل على أن الدين له مراتب ثلاث أعلاها الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام ، والله أعلم .

قال : (الأصل الثالث معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو : محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً رسولاً

نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر وبلده مكة بعثه الله ﷻ بالنذارة عن الشرك ويدعوا إلى التوحيد ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾ ومعنى قم فأنذر : ينذر عن الشرك ويدعوا إلى التوحيد وربك فكبر عظمه بالتوحيد ، وثيابك فطهر : أي طهر أعمالك من الشرك ، والرجز فاهجر : الرجز : الأصنام ، وهجرها : تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها) :

هذا هو الأصل الثالث معرفة النبي ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي من بني إسماعيل من العرب الذين هم ذرية إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام وهو خاتم الأنبياء والمرسلين فمن صدق بنبيٍ بعده فقد كفر الكفر الأكبر ، فهو خاتم النبيين لا نبي بعده ﷺ .

وذكر هنا أنه نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر ، وتقدم لكم في الواسطية الفرق بين النبي والرسول .

وأن من أهل العلم من قال أن النبي هو الذي أوحي و لم يؤمر بالبلاغ ، وأما الرسول فهو الذي أوحي إليه وأُمر بالبلاغ ، والذي يترجح هو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن كليهما كما أنه يوحى إليه فقد أُمر بالبلاغ لكن الرسول قد أُرسل إلى قومٍ مخالفين إلى قومٍ مشركين فهذا هو الرسول يرسل إلى قومٍ مشركين سواء كانت له شريعة تختص به كموسى عليه السلام أو كانت شريعته هي شريعة من قبله كيوسف عليه السلام .

وأما النبي فإنه يبعث إلى قومٍ موافقين يجدد لهم دينهم وكانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كما جاء في البخاري كلما مات نبي بعث الله نبياً .

وأما هذه الأمة فإنها تساس بالعلماء ، لأن هذه الأمة علماؤها أخيارها ولذا قال ﷺ : (**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله**) رواه ابن عبدالبر وغيره وهو حديث حسن ، فهذه الأمة يسوسها علماؤها ولذا قال ﷺ فيما ثبت في أبي داود وغيره : (**أن الله يبعث في هذه الأمة على رأس مائة من يجدد لها دينها**) فهذه الأمة يبعث لها من يجدد لها دينها ، وأما الأنبياء فلا نبي بعده ﷺ .

قال : (أخذ على هذا عشر سنين يدعوا إلى النوحيد ، وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة) :

وهذا يدل على أهمية التوحيد فإن النبي ﷺ مكث في مكة يدعوا إليه عشر سنين و لم يؤمر بشيء من الشرائع والفرائض وبعد عشر سنين عرج به ﷺ إلى السماء وأُمر بالصلوات الخمس وهذا يدل على أهمية التوحيد وعلى أهمية الصلاة .

قال : (والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾ قال البغوي رحمه الله : سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ : " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ") :

الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، يجب على كل مسلم أن يهاجر من بلد الشرك إلى بلد الإسلام مع القدرة إذا قدر على أن يهاجر فيجب عليه أن يهاجر ولا يجوز له أن يمكث بين ظهراني المشركين إلا أن يكون يظهر دينه في بلد الشرك يعلق التوحيد ويتبرأ من الشرك وأهله يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت ويظهر هذا ويظهر شعائر الإسلام فإنه لا يجب عليه أن يهاجر عند أهل العلم .

إذن : إنما تجب الهجرة على الذي لا يقدر على إظهار دينه ، وأما الذي يقدر على إظهار دينه فإن الهجرة مستحبة في حقه .

وهناك أيضاً هجرة أخرى وهي الهجرة من دار المعصية إلى دار الطاعة إذا كان الإنسان في بلد فيها معاصي فهذه أيضاً نوع من الهجرة أن يهاجر منها إلى بلد الطاعة إلى بلد يكون فيها الناس من أهل الخير والصلاح يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

قال : (فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة ، والصوم ، والحج ، والأذان ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين ، وتوفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه ، والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذرها عنه الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه ، بعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾):

فلا تختص دعوته بالعرب كما تقول اليهود بل هو ﷺ نبي ورسول إلى الثقلين الجن والإنس ﷺ : **﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾** فدعوته عامة ﷺ وكذا قال كما في صحيح مسلم : **(والذي**

نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به إلا أدخله الله النار) ولذا فإن الله لا يقبل من الناس إلا الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ فبعد بعثته لا يقبل الله إلا الإسلام ، ولذا فإن النصارى في النار واليهود في النار وهم كفار لا يقبل الله ﷻ منهم هذه الأديان التي يتدينون بها لا يقبل الله ﷻ إلا الإسلام .

قال : (وكمل الله به الدين ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾) :

فكل ما قيل أنه من الدين مما يتقرب به إلى الله ﷻ و لم يأتي به ﷺ فهو بدعة كبدعة المولد مثلاً وبعض الأذكار وتحديد بعض الأوقات لبعض الأعمال الصالحات التي لم ترد عن النبي ﷺ فإنها من البدع ، لأن الدين قد أكمل :﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ فهو قد بلغ البلاغ المبين و لم يترك خيراً إلا دلنا عليه ولا شراً إلا حذرنا منه مع كمال دينه ، ولذا قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : " من شرع في الدين فقد زعم أن محمداً قد خان الرسالة " لما ؟ لأن الله أخبر أن نبيه ﷺ قد بلغ البلاغ المبين وأنه ما ترك خيراً إلا أمرنا به ولا شراً إلا نهانا عنه ﷺ .

قال : (والدليل على موته ﷺ قوله ﷻ : ﴿ إنك ميتٌ وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾) :

فهو ميت ﷺ ، والأموات لا يسمعون كلام الأحياء إلا ما جاء في الدليل كالسلام على الميت ولذا قال ﷺ : (**فإن تسليمكم يبلغوني حيث كنتم**) وأما الاستغاثة به ودعاؤه ﷺ والاستشفاع به فإن ذلك كله لا يسمعه ﷺ ولا يبلغه ومن دعاه ﷺ واستغاث به فقد كفر بالله العظيم لأن هذا من دعاء الأموات وهو ميت ﷺ : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ .

قال : (والناس إذا ماتوا يبعثون ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾ وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ ومن كذب بالبعث كفر ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون

للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين والدليل على أن أولهم نوح قوله ﷻ : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده ﴾) :

وفي الصحيحين أن الناس يوم القيامة يقولون لنوح عليه السلام : أنت أول رسل الله ، فهو أول رسل الله ﷻ ، وأما الأنبياء فإن أولهم آدم عليه السلام أبو البشر ، وأما في الرسل الذين بعثوا إلى قومٍ مخالفين إلى قومٍ مشركين نوح عليه الصلاة والسلام فإنه بُعث إلى قوم يعبدون الأوثان كما جاء في سورة نوح .

قال : (وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت ، والدليل قوله ﷻ : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾) :

فكل أمة من أمم الأرض قد بعث الله إليها رسولاً إلى أن ختم الله الرسل بمحمد ﷺ كل الأمم في شرق الأرض وغربها قد بعث إليها نبي رسول يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له : **﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾** حتى ختم الله أنبياءه بأفضلهم وهو محمد ﷺ .

قال : (وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع) :

فذكر تعريف الطاغوت فيدخل فيه كل من عبد من دون الله وهو راضٍ وكل من أُتبع في تحليل الحرام أو تحريم الحلال وهو راضٍ وهو يعلم أيضاً أنه مبّدل ويدخل فيه كل من صرف إليه شيء من العبادات وهو راضٍ وكل مطاعٍ أيضاً طاعة مطلقة مستقلة عن طاعة الله ﷻ فإن هذا حد يدخل فيه كل طاغوت ثم ذكر رحمه الله رؤوس الطواغيت .

قال : (والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة إبليس لعنه الله) :

فإبليس هو من رؤوس الطواغيت ، ولذا قال إبراهيم عليه السلام : **﴿ يا أبتِ لا تعبد الشيطان ﴾** فالشيطان يُعبد من دون الله.

قال : (ومن عبد وهو راضٍ) :

الذي يعبد وهو راضٍ لكن الذي يعبد وهو غير راضٍ كعلي والحسين رضي الله عنهما فلا يقال إنه طاغوت لكن الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ فهو طاغوت .

قال : (ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه) :

كذلك هذا طاغوت .

قال : (ومن ادعى شيئاً من علم الغيب) :

كالكهنة وغيرهم والسحرة والمنجمين فإن هؤلاء كلهم طواغيت .

قال : (ومن حكم بغير ما أنزل الله) :

كذلك من حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت فإن كان قد شرع تشريعاً عاماً فهذا كفر أكبر كالذي يضع قانوناً فيه أن الزاني لا يُرجم وإنما يُسجن إن كانت المرأة غير راضية وإن كانت راضية فلا شيء عليه ، هذا تشريع عام فمن شرع تشريعاً عاماً أو عمل به فهذا من الكفر لأنه يتضمن رضاه بهذا القانون وأن هذا القانون فيه مصلحة وفيه خير وفيه عدالة .

وأما القاضي الذي يحكم في بعض القضايا بغير ما أنزل الله إما لرشوة وإما لرهبة أو لرغبة فإن هذا لا يكفر أي بعض القضاة مثلاً قد يحكم بغير ما أنزل الله في مسائل يأتيه مثلاً الزاني الذي يثيب عليه الزنا بأربعة شهود ثم لا يقيم عليه الحد لشرفه أو رغبة أو رهبة فتقوله هذا لا يكفر وإنما هذا من كبائر الذنوب ، وأما الذي يضع قانوناً ويعمل به ويكون تشريعاً عاماً فإن هذا من الكفر الأكبر المستبين كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله .

قال : (والدليل قوله ﷻ : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ وهذا هو معنى لا إلـه إلا الله ، وفي الحديث " رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " والله أعلم)

فلا إله إلا الله هي العروة الوثقى ، الإيمان بالله والكفر بالطاغوت .

لا إله : كفر بالطاغوت .

إلا الله : إيمان بالله وقصر للعبادة وحصر لها به ﷻ دون ما سواه .

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين